مجلة تسليم
Journal Homepage: https://tasleem.alameedcenter.iq
ISSN: 2413-9173 (Print) ISSN 2521-3954 (Online)

المُهَيْمِنَاْتُ الأُسْلُوْبِيَّةُ فِيْ خِطَاْبِ الإِمَاْمِ الجَوَاْدِ عليه السلام

عهود عبد الواحد عبد الصاحب [1]

١ جامعة بغداد / كُلِّيَّة التَّربية للعلوم الإنسانيَّة – ابن رشد / قسم اللُّغة العربيَّة، العراق؛

uhoudalaqyly@yahoo.com

دكتوراه في اللغة العربية / أستاذ

تاريخ التسلّم	تاريخ القبول	تاريخ النشر
٢٠٢٤/٦/١٠	٢٠٢٤/٧/١٤	٢٠٢٤/٩/٣٠

المجلـد (١٩) العـدد (٣١)
رَبِيْع الأوَّل ١٤٤٦هـ . أيْلُول ٢٠٢٤ م

DOI:
10.55568/t.v19i31.97-129

CC BY NC

مُلَخَّصُ البحْث

الإمـام مُحَمَّـد بـن عليٍّ الجـواد بـن الإمـام عليّ بـن موسـى الرضـا بـن الإمـام موسـى الكاظـم عليهم السلام جميعًـا تاسـع أئمَّـة أهـل البيـت عليهم السلام وهـو فـرع مـن الشـجرة المُحَمَّديَّـة العلويَّـة اشـتُهر بالحكمـة وفصـل الخطـاب، وقـد أُثِـر عنـه خطـابٌ ثـرُّ المعاني جـزل المباني، ويبـدو الإمـام الجـواد عليه السلام مـن خلالـه متمكِّنًـا مـن أدواتـه المعرفيَّـة والبلاغيَّـة، وقـد بيَّنْـتُ اسـتثماره علـى السَّـلِيْقَةِ للجمـع بيـن العلـوم بمـا يفصـح عـن كونـه مـن أهـل بيـت زُقُّـوا العلـم زقًـا، فلقـد أوجـزَ فـي موضـع الإيجـازِ وأطنـب حتَّـى تبيَّـن الإعجـاز، وحـرَّك الجمـادات وشـخَّص المعضـلات وشـرحها ولَخَّصهـا، أفصـح عـن الإقنـاع بالبلاغـة وأفحـم المناظريـن بعظيـم الفحـوى وجليـل الصياغـة، فاتَّضـح علـى النـاس إعجابُهـم حتَّـى رتَّلـوا قولـه تعالـى: (اللهُ أَعْلَـمُ حَيْـثُ يَجْعَـلُ رِسَـالَتَهُ). وشـمل ذلـك العامَّـة والخليفـة، فهابـوا مكانَتَـهُ وعظَّمُـوا أمَانَتَـهُ ولـم يُخْفُـوا الإعجـابَ بمـا نطـق مـن الحكمـةِ وفصـلِ الخطـاب.

وقـد وَسَـمْتُ البحـثَ بـــ (المُهَيْمِنَـاْتُ الأُسْـلُوْبِيَّةُ فِـيْ خِطَـاْبِ الإِمَـاْمِ الجَـوَاْدِ عليه السلام)؛ ولا ريـب فهـم أهـل بيـت قـد زُقُّـوا العلـم زقًـا، وقـد كَرَّمهـم الله تعالـى بإذهـاب الرجـس عنهـم وتطهيرهـم تطهيـرًا.

وكانـت بلاغتـه علـى السـليقة فيهـا تتسـابق الفنـون الأسـلوبيَّة وتأتـي عفـو الخاطـر بـلا تكلُّـفٍ، بـل تُلبِّـي حاجـة السـياق فتحـلُّ مـن موضعهـا الأسـمى بمـا يخلـب الألبـابَ تأثيـرُهُ ويثيـرُ الخيـالَ تصويـرُهُ؛ لـذا وددتُ دراسـة خطابـه دراسـة بلاغيَّـة أسـلوبيَّة وسـمتها بـ (المُهَيْمِنَـاْتُ الأُسْـلُوْبِيَّةُ فِـيْ خِطَـاْبِ الإِمَـاْمِ الجَـوَاْدِ عليه السلام)

Stylistic Dominance in Discourse of Imam Al-Jawad

Ahud Abidalwahid Abidalsahib [1]

1 University of Baghdad / College of Humanities / Ibn Rushd / Dept of Arabic, Iraq;

uhoudalaqyly@yahoo.com

PhD. in Arabic Language/ Professer

Received:	Accepted:	Published:
10/6/2024	14/7/2024	30/9/2024

DOI: 10.55568/t.v19i31.97-129

Volume (**19**) Rabi'a Alawwal 1446 AH.
Issue (**31**) September 2024 AD

CC BY NC

Abstract

Imam Muhammad ibn Ali Al-Jawad ibn Imam Ali ibn Musa Al-Ridha ibn Imam Musa Al-Kadhim (peace be upon them all), the ninth Imam of the Ahl-ul Bayt (peace be upon them) is renowned for his wisdom and eloquence. Many eloquent and profound speeches have been attributed to him. This study shows how he skillfully combined various sciences, revealing his status as a member of AhlulBayt to whom knowledge was bestowed abundantly. He was concise when brevity was appropriate, and he elaborated when clarity was needed. He brought inanimate objects to life, clarified complex issues, and summarized profound concepts. He convinced others with his eloquence and refuted his opponents with his deep insights and elegant phrasing. All people, during his time, were so impressed by him that they recited, "اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" (Allah knoweth best where (and how) to carry out His mission)." (Surah Al-An'am:124). And they respected his position, honored his trust, and openly admired his wisdom and eloquence.

This study is entitled "Stylistic Dominant Devices Discourse of Imam Al-Jawad (Peace Be Upon Him)" because the Imam's eloquence was spontaneous and effortless, displaying a wide range of stylistic techniques . His words had a captivating effect, evoking vivid imagery. For this reason, the researcher was motivated to undertake a rhetorical and stylistic analysis of the Imam speeches. The study is divided into three sections:

Section 1: Syntactic Stylistic Dominant Devices

Section 2: Semantic Stylistic Dominant Devices

Section 3: Rhetorical Stylistic Dominant Devices

However, the researcher mentions what highlights that rhetorical presence in Imam's noble speech and guides the discerning reader to the heights of revealing supreme eloquence . The conclusion includes the most important results, and then a list of research sources and references comes at the end.

Keywords: dominant devices , stylistics, discourse, Imam Al-Jawad (P.B.U.H.)

وجعلت البحثَ مباحثَ ثلاثة هي:

المبحث الأوَّل: المهيمنات الأسلوبيَّة التركيبيَّة

المبحث الثاني: المهيمنات الأسلوبيَّة البيانيَّة

المبحث الثالث: المهيمنات الأسلوبيَّة البديعيَّة

ولم أذكر الأمثلة كلَّها التي تحتوي تلك المباحث؛ لأنَّني لو فعلت ذلك لاحتجت لتأليف كتابٍ، لكنِّي ذكرت ما يبرز ذلك الحضور البلاغيَّ في خطابه الشريف ويأخذ بيد القارئ الحصيف إلى مدارج إبراز البلاغة العليا، ولم أذكر من الفنون إلَّا ما شكَّلَ ظاهرةً في كلامِهِ، أمَّا الفنونُ غيرُ البارزةِ فلا داعيَ لذكرِهَا، وختمتُ البحث بخاتمةٍ تَضَمَّنَتْ أهمَّ نتائجِهِ مسبوقةً بقائمة لمصادرِ البحثِ ومراجعِهِ.

وعلى الله قصد السبيل وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين.

الكلمات المفتاحيَّة : المهيمنات، الأسلوبيَّة، خطاب الإمام الجواد عليه السلام

المُقَدِّمَةُ

أهلُ البيتِ عليهم السلام هُمْ قِمَم الرَّشاد، ومصابيحُ هدايةٍ للعِبَادِ، مَنْ تَمَسَّكَ بهم نَجَا ومَنْ تَخَلَّف عنهم هَلَكَ، يشتركونَ في الفضائلِ ويختلفونَ في أزمنةِ المَرَاحِلِ، يجمَعُهُمْ حبُّ الله وهدايةُ العبادِ والتَّأنِّي والاتِّئاد، ولهم في النفوس مكانة سامية؛ لأخلاقهم العظيمة وخصالهم الكريمة، آتَاهُمُ الله ستًّا وفضَّلَهُمْ بِسَبْعٍ؛ وممَّا آتاهم العلم والحلم الفصاحة والمحبَّة في قلوب العباد، وهذه الفصاحة ميَّزَتْهُم من غيرهم فكان علْمُهُمْ وهَّاجًا في خطابهم والبلاغة منهاجًا في جميل سؤالهم وجوابهم، شاءَ اللهُ تعالى أنْ يكونَ ذلك العلمُ لَدُنِيًّا؛ ليُبْهِرُوا في الإجابة ويتجلَّى في كلامهم صوابه.

وهم سلسلة كريمة، ومن هذه السلسلة الإمام مُحَمَّد بن عليّ الرضا بن موسى بن جعفر عليهم السلام الذي عاش في مدَّةٍ عصيبة عصفَ بها الجَوْرُ والظلم في التسلُّط العبَّاسيّ ليواجه بالصبر والحلم والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ذلك الحكم القاسي كما فعل بأبيه الإمام الرضا عليه السلام وجده الإمام الكاظم عليه السلام فمضوا إلى ربِّهم شهداء قضوا بالسُّمِّ وإن كان آتيًا من ابن عمٍّ، وكان الإمام مُحَمَّد الجواد كالبدر في اللَّيلة الظلماء يفصح بفصل الخطاب حتَّى فاق كلَّ من أراد إحراجه في سؤال أو عرض قضيَّة، ويُبِيْنُ في حسن الجواب ليظهر العلم الكثير وحسن الطَّوِيَّة، عمرُهُ قصيرٌ وأثرُهُ كبيرٌ، مَنْ عَرَفَهُ احترمَهُ وأحبَّه وأدركَ عُمْقَ اتِّصَالِهِ بِرَبِّه.

لذا آثرتُ أنْ أبحثَ في بلاغتِهِ الراويَةِ لأُدركَ شيئًا من تلكَ الزَّاويَةِ عسى أن أجد سبيلًا للإبانة عن عظيم تلك المكانة، فأنا بإزاءِ قبسٍ من البلاغة النَّبويَّة والفصاحةِ العَلَوِيَّة، لكنِّي آثرتُ المحاولةَ، فما لا يُدْرَكُ كلُّهُ لا يُتْرَكُ جُلُّهُ.

وحين سبرْتُ غمارَ بحرِهِ لاحَتْ لي لآلئُهُ، وهيهاتَ أنْ أصلَ إليها، لكنِّي حاولت، فإنْ أصبتُ فبتوفيقٍ من الله وإن أخفقتُ فلِأنَّ أمواجَهُ لا يركبُهَا إلَّا مَن احْتَرَفَ السِّبَاحة واعتاد تلك السياحَةَ، ولقُصُورِ أدواتِيْ وتقصيرِ يَرَاعِيْ ودَوَاتِيْ.

ولقد وجدتُهُ موظِّفًا أدوات البلاغة مازجًا علومَهَا مستفيدًا من اتِّحاد الأجزاء؛ ليكون التأثير كبيرًا والتصوير مثيرًا فكانت علوم البلاغة تتسابق بين يديه في تأثيرها وأدوات البيان تستعين ببعضها ليتجلَّى تصويرها، وأنا واثقةٌ أنَّ ما وَصَلَ إلينا من تراثه الثَّرِّ ما هو إلَّا أقل القليل، فمن بلغ ذلك المستوى كان معطاءً في الغزارة وجميلَ المحتوى، لكنَّ السَّاعين إلى طمسِ ذلك التُّراث مِنَ المأجورين أشرس من الدَّاعِيْنَ إلى جَمْعِهِ مِنَ المُحِبِّيْنَ، ولا يضيره ذلك فالقطرة تدلُّ على الماء الكثير، وما بينَ أيدينا يُفْصِحُ عن تمكُّنِ الإمام الجواد عليه السلام في الميادين التي سَبَرَهَا، فمن طويل القول وجليل المناظرة إلى قصير الكلم الناطق بالعبرة، أفصح عن مكنونه وعظيم فنونه.

ولقد استمتعتُ بهذه الرحلة الجليلة فكان الإمامُ كما لُقِّب جوادًا في عطائه فارسًا في امتطائه ناصية البلاغة، عسى أن أكون موفَّقَة في إخراج بعض من دُرَرِهِ بما يفصح عن محبَّتي لأهل هذا البيت عليهم السلام الذين شرَّفهُمْ الله بإذهابِ الرِّجْسِ عنهم وتطهيرهم تطهيرًا لم يُشرَّف به غيرُهُمْ، فهم عطرُ النَّبيّ صلى الله عليه وآله وبقيَّتُهُ وسلالةُ الوصيِّ وعطيَّته، وكان ما وجدته لديهِ صورةً مِمَّا وجدته من بلاغة أجدادِهِ مِنْ أئمَّة أهل البيت عليهم السلام التي عالجَتْ بجمالِ لغتِهَا وعظيم فحواها المشكلات المطروحة التي عنَّت للأمَّة وقد حلُّوها بأفضلِ الحلول وبما يكشف عن امتدادهم لمُحَمَّد الرسول صلى الله عليه وآله وتمكُّنهم من مراعاة الفروع والأصول من الأحكام ويعطي الصورة المثلى للإسلام.

وقد بيَّنْتُ استثماره على السَّلِيْقَةِ للجمع بين العلوم بما يفصح عن كونه من أهل بيت زُقُّوا العلم زقًا، فلقد أوجزَ في موضع الإيجازِ وأطنب حتَّى تبيَّن الإعجاز، وحرَّك الجمادات وشخَّص المعضلات وشرحها ولخَّصها، أفصح عن الإقناع بالبلاغة وأفحم المناظرين بعظيم الفحوى وجليل الصياغة، فاتَّضح على الناس إعجابُهم حتى رتَّلوا قوله تعالى: (اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ). وشمل ذلك العامَّة والخليفة، فهابوا مكانَتَهُ وعظَّمُوا أمَانَتَهُ ولم يُخْفُوا الإعجابَ بما نطق من الحكمةِ وفصلِ الخطاب.

وآثرتُ أنْ أُلْقِيَ دلويَ بين الدِّلَاء التي كانت قليلة لكنَّها جليلة، محيطة بما تناولَتْ، مُسَدَّدة فيما حاولت، عسى أنْ أجدَ إلى التوفيق سبيلًا.

وجعلت البحث مباحث ثلاثة هي:

المبحث الأوَّل: المهيمنات الأسلوبيَّة التركيبيَّة

المبحث الثاني: المهيمنات الأسلوبيَّة البيانيَّة

المبحث الثالث: المهيمنات الأسلوبيَّة البديعيَّة

ولم أذكر الأمثلة كلَّها التي تحتوي تلك المباحث؛ لأنَّني لو فعلت ذلك لاحتجت لتأليف كتابٍ، لكنِّي ذكرت ما يبرز ذلك الحضور البلاغيّ في خطابه الشريف ويأخذ بيد القارئ الحصيف إلى مدارج إبراز المهيمنات الأسلوبيَّة في خطاب الإمام الجواد فيما أحسنَ وأجاد، ولم أذكر من الفنون إلَّا ما شكَّلَ ظاهرةً في كلامِهِ، أمَّا الفنونُ غيرُ البارزةِ فلا داعيَ لذكرِهَا، وختمتُ البحث بخاتمةٍ تَضَمَّنَتْ أهمَّ نتائجِهِ مسبوقةً بقائمة لمصادرِ البحثِ ومراجعِهِ.

المبحث الأوَّل: المهيمنات الأسلوبيَّة التَّركيبيَّة:

هو العلم الذي يُعنى بالتركيب وبنائه وحسن العناية باختيار الألفاظ وجعلها في أجلِّ الصيغ لتتبيَّن فرادة انتقائها لتفصحَ عن المعنى من خلال جليل التراكيب .

لقد اعتنى به العلماء البلاغيُّون والنَّحويُّون الذين بحثوا عن ضالَّتهم ليفصحوا عن مكنون التراكيب الحاوية لجليل الأساليب، ومن أبرزهم عبد القاهر الجرجانيّ (ت٤٧١هـ) في كتاب[١] أراد له أن يكون سبيلاً لإبراز دلائل الإعجاز التي سلكها القرآن الكريم فأعجز العالمين على مرِّ الدهور أنْ يأتوا بسورة من مثله، وصدق الله تعالى حيث قال: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء ٨٨)

وانتهى التحدِّي بسورة من مثله حيث قال: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ٢٣) ، ليس في الأسلوب وحسب بل بجمعه الحُسْنَيَيْنِ الأسلوب وعظيم الفحوى بتفرُّد إلهيّ لا نظيرَ له.

١ الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني، تحقيق. محمود محمد شاكر أبو فهر (القاهرة: مطبعة المدني بالقاهرة، ١٩٩٢).

انتقاء الألفاظ:

لا بُدَّ للبناءِ مِنْ لَبِنَات قويَّة تُحْكِم البناء، وَلَبِنَاتُ التَّراكيب هي الكلمات، فلابدَّ من حسن الانتقاء بمراعاة فصاحة الألفاظ التي تحدَّثَ عنها البلاغيُّون، وأشاروا إلى ما ينبغي أن تتحلَّى به الكلمة من صفات لتكون فصيحة، ومنهم يحيى بن حمزة العلويّ (٧٤٥هـ) حيث قال متحدِّثًا عن مراعاة محاسن الألفاظ التي تجعل اللَّفظ فصيحًا، بمراعاته أموراً ثلاثة: ((أمَّا أوَّلا: فلابدَّ من اعتبار كونها عربيَّة، فلا تكون معرَّبة، فارسيَّة، ولا روميَّة، ولا حبشيَّة، ولا سِنديَّة؛ لأنَّها إذا كانت خالصةً كانت أدخل في فصاحة اللَّفظ، وأمَّا ثانيًا: فأنْ تكونَ مألوفة مستعملة، ولا تكون شاذَّة نادرة، فما هذا حاله من الألفاظ لا يُعَدُّ فصيحًا، ولا يكون جاريًا في أساليب الفصاحة، وأمَّا ثالثًا: فأن تكون خفيفة على السماع طيِّبة الذَّوق في تأليفها، ولا تكون وحشيَّة غريبة...))[٢]، وقد وجدت الإمام الجواد عليه السلام قد راعى أصول فصاحة الألفاظ في انتقائه ألفاظه بشكل فطريّ، فلم تكن هذه الأحكام البلاغيَّة قد أظهرها مختصُّوْها أو دوَّنُوْهَا في كتاب، ففصاحة الأئمَّة المجيدة متوارثة كتوارثهم الخصال الحميدة؛ لذا لم يختلف في فصاحتهم وبلاغتهم عدوٌّ ولا صديقٌ كما لم يختلفوا على عظيم أخلاقهم وصلاح شخصيَّاتهم.

كان الإمام مُحَمَّد الجواد عليه السلام يَغْرِفُ من بحرٍ، فلم تُعْيِهِ المطالب فلا نجدُ في خطابه كلمةً عاميَّةً أو سوقيَّة، مستكرهَة أو نابية أو وحشيَّة، معرَّبة أو دخيلة، بل كانت ألفاظ القرآن الكريم منثالةً على لسانِهِ مكمِّلةً لجميلِ بيانه؛ ممَّا جَعَلَ أثرَ القرآن باديًا على أساليبه، آخذاً منه بالمعنى والاقتباس، ناطقًا في المكنونِ والأنفاس، بما لا يحتاجُ إلى دليل فلقد سلك إليه طيِّبَ السبيلِ.

وكانت ألفاظ أجداده وأساليبهم مفصحةً بظهورها في كلامه عن انتسابه إليهم، فهو فرعٌ سامقٌ من شجرتِهِمْ وثمرةٌ طيِّبَةٌ من جَنَاهُم، وقد أحسنَ الانتقاءَ لألفاظه لتفصحَ عن المعاني الداخلة فيها فألفاظ الدعاء ناطقة بالدعوة إلى الله تعالى وحسن مناجاته، وألفاظ المناظرة وافرة بالأدلَّة والبراهين، وقصار الكلم مكتنزة بمعاني الحكمة وفصل الخطاب، فكلٌّ في موضعه مُصِيْبٌ، ينمُّ عن مفوَّه بليغ خطيب، لا عِيَّ ولا حصرَ في خطابه، ولا تمهُّل أو تلكُّؤ في جوابِهِ.

٢ الحسيني، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ط١ (بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣)، ٣/ ١٢٥.

وفيما سيأتي من نصوص الإمام الداخلة في مختلف مفاصل البحث دلائل قاطعة على ذلك الانتقاء الذي يظهر تكثيف المعنى والإحاطة به وسأكتفي بمَثَلَيْنِ لِضِيْقِ المقام: قال الإمامُ: ((من هجر المداراة قاربه المكروه)) [٣] فهذا النَّصُّ اكتنزَ بالألفاظ الموحية، وهو أقرب إلى الأمثال السائرة التي تعزِّزُ الحكمة والخبرة في التعامل مع الناس، كلماتُهُ منتقاةٌ، وهي قليلة معبِّرة عن أهَمِّيَّة العمل بالمداراة. فلا نَجِدُ تعقيدًا في معانيها ولا استكراهًا في ألفاظها بل تكثيفٌ أخَّاذٌ يخلبُ الألبابَ.

وقوله عليه السلام: ((مَنْ لَمْ يَعْرِفِ المواردَ أعْيَتْهُ المَصَادِرُ)) [٤]، وهذا القول كسابقه في الجمال والأهَمِّيَّة والتكثيف الدِّلَالي، فالألفاظ معبِّرَةٌ واقعةٌ في مكانها المناسب تشيرُ إلى ضرورة أن تنبنيَ المعرفةُ على الترتيبِ والتنظيمِ، ممَّا يأخذ بترتيب المعلومات، وهنا معنًى مجازيٌّ مفاده ضرورة أن تكون للإنسان خبرةٌ يبنِي على أساسها قناعاتِهِ التي يُكوِّنُها حولَ الحياة ومَنْ فيها فتكون استجابَتُهُ على قَدْرِ فَهْمِهِ وتعامُلِهِ على قَدْرِ إدْرَاكِهِ.

التقديم والتأخير:

من أهمِّ المهيمنات الأسلوبيَّة التي تُظهر تمكُّنَ المبدعِ من أدواته البلاغيَّة، وقد أدرك أهَمِّيَّتَهُ علماءُ البلاغة وبحثوا أسرارَهُ وبيَّنوا أهَمِّيَّتها، قال عبد القاهر الجرجانيّ عنه: ((هو بابٌ كثيرُ الفوائد، جَمُّ المَحاسن، واسعُ التصرُّف، بعيدُ الغاية، لا يَزالُ يَفْتَرُّ لك عن بديعةٍ، ويُفْضي بكَ إلى لَطيفة، ولا تَزال تَرى شِعراً يروقُك مسْمَعُه، ويَلْطُف لديك موقعُه، ثُمَّ تنظرُ فتجدُ سببَ أَنْ راقكَ ولطفَ عندك، أن قُدِّم فيه شيءٌ، وحُوِّل اللَّفظُ عن مكانٍ إلى مكان)) [٥]، ولاسِيَّما إذا تعانقت مع فنون بلاغيَّة أخرى فيكون لها تأثيرٌ مزدوجٌ، ومن ذلك قول الإمام الجواد عليه السلام ((وبالرَّاعي تصلح الرَّعية وبالدُّعاء تُصرَفُ البليَّة)) [٦]، فقد قدَّم شبه الجملة من الجار والمجرور (بالراعي) المتعلِّقة بالفعل (تصلح) للاهتمام بالمتقدِّم وهو الرَّاعي؛ لِمَا لمكانتِهِ من أهَمِّيَّة؛ لذا قال جدُّه رسول الله صلى الله عليه وآله: ((كُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ وَالأَمِيرُ رَاعٍ وَالرَّجُلُ رَاعٍ عَلَى أَهْلِ

٣ الجزيني، أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين مكي بن محمد بن حامد بن أحمد النبطي. الدُّرَّةُ الباهِرَةُ من الأصداف الطاهرة، تحقيق. داود صابري (مشهد المقدسة – إيران: الآستانة الرضوية المقدسة، ١٣٦٥)، ٣٩.

٤ الجزيني، ٣٩.

٥ الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ١٠٦.

٦ الطرابلسي، أبو الفتح محمد بن علي الكراجكي، كنز الفوائد (بيروت: دار الأضواء، ٢٠١٤)، ١/ ٣٥٠.

بَيْتِهِ وَالْمَرْأَةُ رَاعِيَةٌ عَلَى بَيْتِ زَوْجِهَا وَوَلَدِهِ فَكُلُّكُمْ رَاعٍ وَكُلُّكُمْ مَسْؤُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ)) [٨]، فكأنَّ الإمام ﷺ يشير من طَرْفٍ خَفِيٍّ إلى هذه الفحاوى؛ لبيان أهَمِّيَّة المسؤوليَّة التي أودعها الله على عاتق أصحابها الذين بيَّنهم الحديث الشريف، وفي حديث الإمام ﷺ ذاته قدَّم شبه الجملة و(بالدُّعاء) المتعلِّقة بالفعل (تُصرَف) للاهتمام بالمتقدِّم وهو الدُّعاء، وقد أشار القرآن الكريم إلى أهَمِّيَّة الدُّعاء حيث قال سبحانه: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ (الفرقان ٧٧). فلولا دُعاء المؤمن لما أقام الله له وزنًا للإشارة إلى أهَمِّيَّة الدُّعاء عنده سبحانه، وأشارت إلى أهمِّيَّته آيات أخرى، وأشار الرسول ﷺ إلى أهَمِّيَّة الدُّعاء بقوله: ((الدُّعَاءُ مُخُّ الْعِبَادَةِ))[٩]، فهو مرتكز العبادات وأساسها، وكان يهتمُّ بتعليم المسلمين الدُّعاء لأهمِّيَّته، فقد ورد أنَّه ﷺ ((كَانَ يُعَلِّمُهُمْ -أي المسلمين- الدُّعَاءَ كَمَا يُعَلِّمُهُمْ السُّورَةَ مِنْ الْقُرْآنِ يَقُولُ قُولُوا اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ))[١٠]، فكأنَّ الإمام الجواد ﷺ أراد التأكيد على المعاني التي جَسَّدها الرسول ﷺ من خلال الإشارة إليها والتذكير بها.

الحذف والذكر:

لهذه المهيمنة الأسلوبيَّة تأثيرٌ كبير في السياقات الداخلة فيها ولاسِيَّما الحذف؛ لأنَّه يختصرُ الفكرة ويحتفظ بها كجمرة تبعث الحرارة في القول وتشيع فيه الدفء ولاسِيَّما أنَّ هذا الحذف لا يكون إلَّا إذا دلَّ عليه دليل يقول عبد القاهر الجرجانيّ عنه: ((هو بابٌ دقيقُ المَسْلك، لطيفُ المأخذ، عجيبُ الأَمر، شبيهٌ بالسِّحْر، فإنَّكَ ترى به تَرْكَ الذِكْر، أَفْصَحَ من الذكْرِ، والصَّمتَ عن الإفادةِ، أَزْيَدَ للإفادة، وتَجدُكَ أَنْطَقَ ما تكونُ إذا لم تَنْطِقْ، وأَتمَّ ما تكونُ بيانًا إذا لم تُبِنْ))[١١]، وقد وجدت الحذف في الخطاب الجواديّ أكثر من الذِّكْر؛ لما في كلام الإمام من الإيجاز المكَثَّف للفكرة، من ذلك قوله: ((الصَّبْرُ على المُصِيْبَةِ مُصِيْبَةٌ للشَّمَّات))[١٢]، والتقدير (هو) مصيبة

٧ البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة .الجامع الصحيح، ط١ (القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٧)، ٧/ ٤١.
٨ أحمد بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق. شعيب الأرنؤوط وآخرون، ط٢ (مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩)، ٩/ ١٥٦.
٩ الطبراني، أبو القاسم. الدعاء للطبراني، تحقيق. مصطفى عبد القادر عطا، ط١ (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣)، ٢٤.
١٠ ابن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٤/ ٦١.
١١ الجرجاني، دلائل الإعجاز في علم المعاني، ١٤٦.
١٢ القرشي، باقر شريف. حياة الإمام الجواد (دراسة وتحليل) (بغداد: الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، ١٤٣١)، ١٦٠.

للشُّبَّهات، فكان الحذف أجمل؛ ليكون تكرار كلمة (المصيبة) متتاليًا لم يفصل بين الكلمتين فاصل مع اختلاف عود هذه المصيبة، فالأولى هي مصيبةُ الصَّابِر، والثانية التي جاءت خبرًا هي مصيبةُ الشَّامِتِيْنَ الذين وجدوا الصابر محتسبًا لم تغلبْه المصائبُ فعادتْ عليهم بالنوائبِ.

والملحوظ أنَّ الإمام عليه السلام جعل (المصيبة) المُتَحَدَّث عنها معرفةً؛ لأنَّها محدَّدة، ومصيبة الشامت نكرة؛ حتَّى يُعَبِّرَ عن كبرها وعدم تحديدها؛ لما يحمله في قلبه من حَسَدٍ تكون المصيبة على قدره. فأعطى لكلِّ شيءٍ ما يناسبُهُ ووَضَعَهُ في موضِعِهِ المناسب.

أمَّا الذكر فقد وردَ في الخطاب الجواديّ ولاسيَّما ذكر الضمير المنفصل، وهو يجيء به للتأكيد على فحوى ما دلَّ عليه، من ذلك قوله عليه السلام: ((أمَّا هذه الدنيا فإنَّا فيها مغترفون، ولكنْ من كان هواه هوى صاحبه، ودانَ بدينِهِ فهو معه حيث كان والآخرة هي دار القرار))[١٣]، فقد ذكر الضمير (هي) للتوكيد على كونها دار القرار، علمًا أنَّ الإمام قد اقتبس القول من الآية الكريمة: ﴿وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ﴾ (غافر ٣٩)، فقد ذكر الخالق سبحانه الضمير (هي) وأفاد الإمام من ذلك في اقتباسه ليكون أكثر إصابة في المعنى. ولم يكن الذكر هو التوكيد الوحيد في مقولة الإمام بل أكَّد بـ (إنَّ) في (إنَّا) وقدَّم شبه الجملة (فيها) على خبر (إنَّ) وهو (مغترفون) للتأكيد على مكان الاغتراف، وبعد أن انتهى من الحديث عن الدنيا أكَّد أنَّ البقاءَ المستديْمَ سيكونُ في الآخرة.

أساليب الطلب في خطاب الإمام الجواد عليه السلام:

الطلب يكون بأساليب متنوعة، كان من أظهرها في خطاب الإمام الجواد عليه السلام الأمر والنهي والنداء وكانت في أكثره حقيقية؛ لأنَّها صادرة من الإمام إلى مريديه تحثُّهم بالأمر على تنفيذ أمر وتنهاهم بالنَّهيّ عن ترك معصية فمن النهيّ والأمر قوله عليه السلام: ((لا تعالجوا الأمر قبل بلوغه فتندموا ولا يطولَنَّ عليكم الأمد فتقسو قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم))[١٤]، فالنهيّ في (لا تعالجوا، ولا يطولَنَّ) وهو نهي

١٣ الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول، قدَّم له وعلَّق عليه. حسين الأعلمي، ط٧ (بيروت – لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢)، ٣٣٦.

١٤ القزويني، محمد كاظم. الإمام الجواد عليه السلام من المهد إلى اللحد، تحقيق. مصطفى بن محمد كاظم القزويني (بيروت – لبنان: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر و التوزيع، ١٤٢٨)، ٣٩٠_٣٩١.

حقيقيّ جمع بين النهي والتوكيد بنون التوكيد الثقيلة. أمَّا الأمر فكان في الفعلين: (ارحموا واطلبوا) وهو أمر حقيقيّ أيضًا أراد منه الإمام أن تحلَّ الرحمة بين المؤمنين وقد بان ذلك من ألفاظ الرحمة التي فاض بها السياق.

أمَّا النداء فكان في أكثره بـ(ياء) النداء في جواب السائلين للمسائل وكان النداء حقيقيًّا كقوله لمن اعتقد أنَّ الإمام الجواد عليه السلام هو القائم عجل الله فرجه فقال: ((يا أبا القاسم ما منَّا إلَّا وهو قائم بأمر الله عزّ وجلّ ... ولكنَّ القائم ... هو الذي تخفى عن الناس ولادته ويغيب عنهم شخصه .. وهو سَمِيُّ رسول الله صلى الله عليه وآله)) [١٥]، فالنداء في قوله: (يا أبا القاسم) وقد ظهر أسلوب الحصر في ما منَّا إلَّا وهو قائم والجملة الحاليَّة في (وهو قائم) لتوصف كيفيَّة قيام الأئمَّة بأمر الله، أمَّا ذكر الضمير المنفصل فقد ظهر في ذكر الضمير (هو) مرَّتين، الأولى في (وهو قائم بأمر الله)؛ للتركيز على شخص الإمام في عامَّة الأئمَّة، والثانية في: (هو الذي تخفى...) للتأكيد على شخص الإمام المهديّ عجل الله فرجه. فقد عجَّ السياق باستثمار رفد التركيب بما يوحي بالمعنى المراد بأدقِّ الأساليب.

التوكيد:

للتوكيد أهَمِّيَّة كبيرة في توثيق الأخبار وتركيز معانيها في الأذهان، ولابدَّ من الإشارة إلى أنَّ الأخبار ثلاثة أنواع، ويكون تصنيفها بحسب خلوِّهَا من المؤكِّدات أو ورود المؤكِّدات فيها وهي كالآتي:

الخبر الابتدائيّ: وهو الخبر الذي يكون خاليًا من أدوات التوكيد[١٦] [١٧]؛ لأنَّ المتلقِّي خاليُّ الذهن عن أيِّ معلومة عنها فلا يخالف المتلقِّي فيها، وقد وردت أخبارُ الإمام في أكثرها ابتدائيَّة على سبيل الموعظة للمؤمنين فهم لم يسمعوا بها من قبل ليشكِّكوا في فحواها، والموعظة لا تحتاج توكيدًا إلَّا ما ندرَ، فمن تلك الأخبارِ، ما أُثِرَ عن الإمام وهو ينصح مريديه أو يوضِّح أمورًا سألوه عنها في مثل قوله عليه السلام:

---

١٥ القزويني، ٣٦٩.

١٦ أبو المعالي، محمد بن عبد الرحمن بن عمر. الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق. محمد عبد المنعم خفاجي، ط٣ (بيروت: دار الجيل، د.ت.)، ١/ ٧١.

١٧ عتيق، عبد العزيز. علم المعاني، ط ١ (بيروت - لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩)، ٥٣.

((التحفُّظُ على قَدْرِ الخوف، والطَّمَع على قَدْرِ النَّيْلِ))[١٨]، وهذه الكلمة من جوامع الكلم فقد أبان الإمام عليه السلام أمرين مهمَّيْن في عبارة من نصف سطر، فالإنسان يتحفَّظُ على قدرِ خوفِهِ، ومن لم يَخَفْ لا يظهر تحفُّظًا، أمَّا الطَّمَع فيظهر على قَدْرِ ما يناله المرءُ من الشخص المقابل فكلَّما زاد المقابل في عطائِهِ أكثر النائل من طَمَعِهِ، وهذه حقيقة أدركها من عركَتْهُ الحياةُ وخَبِرَ طبائع الناس.

أمَّا الأخبار الطلبيَّة، فهي الأخبار التي تحتوي مؤكِّدًا واحدًا[١٩] ، وقد ورد الخبر الطلبيّ في كلام الإمام عليه السلام عندما يستشعر أنَّ المتلقِّي قد يساوره بعض الشَّكِّ في المعلومة؛ لذا يأتي الإمام بتوكيد واحد ليزيل من الأذهان ذلك الشَّكَّ، كقوله عليه السلام: ((قد عاداكَ مَنْ سَتَرَ عنك الرُّشْدَ اتِّبَاعًا لما تَهْوَاهُ))[٢٠]، فلربَّمَا شكَّ أحدهم في تلك المعاداة ممَّن ستر الرُّشْدَ عَمَّنْ ينصحُهُ اتِّباعًا لهوى من أُسْدِيَ إليهِ النُّصْحَ، إذ كيف يكون عدوًّا وهو يقوم بعمل الصديق؟!، فجاء الإمام عليه السلام بأداة التحقيق (قد) لتقطع الشَّكَّ باليقين ولاسِيَّما أنَّها تدلُّ على تحقُّقِ الفعل الماضي الذي تسبقه وتقرِّبُ زمنه، قال الزمخشريّ (ت٥٣٨هـ): ((قد للتحقيق والتقريب، قد تقرِّب الماضي من الحال إذا قلت قد فعل))[٢١][٢٢]، وهذه حقيقة نحويَّة متَّفَقٌ عليها بين النَّحويِّين.

ومن الأخبار الطَّلبيَّة أيضًا قول الإمام عليه السلام: ((إنَّ أنفسنا وأموالنا من مواهب الله الهنيَّة وعواريه المستودعة يمتِّع بما متَّع منها في سرور وغبطة، ويأخذ ما أخذَ منها في أجرٍ وحِسْبَة فمن غلب جزعه على صبره حبط أجره، ونعوذ بالله من ذلك))[٢٣][٢٤]، ليؤكِّد الخبر بالأداة (إنَّ)[٢٥] خشية أن يُنكره منكر؛ لنستيقن أنَّ أنفسنا وأموالنا وما نحن فيه من خير ونعم إنَّما

١٨ الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر الحلواني، نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، تحقيق ونشر. مدرسة الامام المهدي عليه السلام، ط١ (قم المقدسة، ١٤٠٨)، ١٣٦.

١٩ الصعيدي، عبد المتعال بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ط١٧ (مكتبة الآداب، ٢٠٠٥)، ١/ ٤٥.

٢٠ القرشي، حياة الإمام الجواد (دراسة وتحليل)، ١٥٦

٢١ الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. المُفَصَّل في صَنْعَةِ الإعراب، تحقيق. علي بو ملحم، ط١ (بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣)، ٤٣٣.

٢٢ الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن يوسف. مُغْنِي اللَّبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق. مازن المبارك و محمد علي حمدالله، ط٦ (دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥)، ٢٣١،٢٢٨.

٢٣ الأصفهاني، محمد باقر المرتضى الموسوي الأبطحي. مُسْتَدْرَكُ عوالِمِ العُلوم والمَعَارِف والأحوالِ من الآيات والأخبار والأقوال ، ج٢٣ الإمام محمد الجواد عليه السلام، ط١ (قم المقدسة: مؤسسة الإمام المهدي، ٢٠٠٢)، ٢٣/ ٣٠٤.

٢٤ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٣٥.

٢٥ سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبرالحارثي. الكتاب، تحقيق. هارون، عبد السلام محمد، ط٣ (القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨)، ١٠٩/٣.

هي من مواهب الله الهنيَّة ولابدَّ ألَّا نجزع إذا سُلِبَتْ منَّا فذلك الجزع يُحْبِطُ الأجرَ. ومثله في التوكيد بـ(إنَّ) قول الإمام ﷺ: ((عليكم بطلب العلم فإنَّ طلبه فريضة والبحث عنه نافلة وهو صلة بين الإخوان ودليل على المروة وتحفة في المجالس وصاحب في السفر وأنس في الغربة)) [٢٦]، فقد أشار إلى أهمِّيَّة طلب العلم وأكَّد أنَّه فريضة، وفيه إشارة إلى قول جدِّه رسول الله ﷺ: ((طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ)) [٢٧]، فحديثه امتداد لسنَّة جدِّه وهو ناقل عنها ومضمِّن لكلامه منها. والملحوظ على قول الإمام الدِّقَّة في التَّصنيف فبينما كان الطلب فريضة كان البحث نافلة، حتَّى يخفِّف الوطء على المؤمنين فليس كلُّ ما يخصُّ العلم واجب بل منه أقلُّ وجوبًا وهو البحث عنه وهنا أرى أنَّه شبَّه العلم بالصلاة فطلبه كالصلاة الواجبة والبحث عنه كالصلاة النافلة.

ولم أجد في مأثور الإمام ﷺ أخبارًا إنكاريَّةً وهي الأخبار التي يجب تأكيدها بالحروف لأجل إنكار سامعيها [٢٨] أي تؤكَّدُ بمؤكِّدَيْنِ أو أكثر، وذلك لعدم إنكار السامعين ما جاء به الإمام من أقوالٍ فلا يوجد عنده ما ينكرونَهُ فهم أدرى الناس بمَنْبَتِهِ الطَّاهِر وما يصدرُ عنه من الفعل الجميل والعطاء الجزيل.

الإيجاز والإطناب:

من المهيمنات الأسلوبيَّة التي برزت في خطاب الإمام الجواد ﷺ، فالإيجازُ والتكثيف بانَ في قصار كلماته وحِكَمِهِ، والإطناب ظهر في شروحه وتعليلاته ومناظراتِهِ، وكلّ في موضِعِهِ يُمَثِّلُ البلاغة؛ لأنَّه يلبِّي ما يحتاجه السِّيَاق، يقول الجاحظ: ((ورُبَّما كان الإيجازُ محمودًا، والإكثار مذمومًا، ورُبَّما رأيتَ الإكثار أحمدَ من الإيجاز، ولكلٍّ مذهبٌ ووجهٌ عندَ العاقلِ)) [٢٩] [٣٠].

ومن الإيجاز في كلام الإمام الجواد ﷺ قوله: ((مَنِ اسْتَحْسَنَ قبيحًا كانَ شريكًا فيه))، فهي كلمةٌ جامعةٌ فيها نَهْيٌ غيرُ مباشرٍ عن استحسان القبيح الذي يبادر إليه كثير من الناس

٢٦ الأصفهاني، مُسْتَدْرَكُ عوالِم العُلوم والمَعَارِف والأحوال من الآيات والأخبار والأقوال، ج٢٣ الإمام محمد الجواد ﷺ، ٢٣/ ٢٧٧.
٢٧ القزويني، الحافظ أبي عبد الله محمدَ بن يزيدَ. سنن ابن ماجة، تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي، د.ط. (دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.)، ١/ ٨١.
٢٨ الحسيني، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٣/ ١٤١.
٢٩ الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. الرسائل الأدبية، ط٢ (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣)، ٥٣.
٣٠ لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، أعْلام الهِدَاية الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ، ط١ (قم المقدسة: مركز الطباعة والنشر في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، ١٤٢٢)، ١١/ ٢٤٤.

رغبةً في التقرُّب إلى الآخرين ولو بمعصيةِ الله تعالى، ولم يكن ذلك خافيًا عن الإمام الذي كان محيطًا بأمراض المجتمع ومنه هذا اللَّون من النِّفاق، وقد جعل بناءه التركيبيَّ على أسلوب الشرط بـ (مَن)؛ لأنَّ الشرط يستلزم جوابًا فمن كان هذا تصرُّفه باستحسان القبيح وتلميع صورته لابدَّ أن يكون الحكم عليه بأن يكون شريكًا في تلك المعصية.

ومن الإيجاز أيضًا قوله ﷺ: ((عِزُّ المؤمنِ في غِنَاهُ عن النَّاس))[٣١]، فما أبلغها من كلمة وما أوجزه من معنى يوضِّحُ أينَ يكمنُ عزُّ المؤمن، فكلَّما كان غنيًّا عن النَّاس غيرَ محتاجٍ إليهم بانَتْ عزَّته ولاحَ تقرُّبُهُ إلى الله فلا يحتاج إلَّا رحمتَهُ فلقد أعطاهُ ما أغناهُ عنهم، والملحوظُ أنَّ تركيب الجمل مبنيّ على مبتدأ (عزّ المؤمن) وخبره شبه الجملة (في غناه عن الناس)؛ ليجعل العزَّ كامنًا في ذلك الغنى، متَّصلًا به اتِّصالًا غير منفكٍّ عنه؛ وذلك أشدُّ رصًّا لأركانِ الجملة تركيبًا ومعنى.

وأمَّا الإطنابُ فيكونُ في مناظراته التي وردت عن يحيى بن أكثم وهو قاضي القضاة يومئذٍ أراد أن يُحْرِجَ الإمام الجواد بسؤالٍ يُعْيِيْهِ جوابُهُ ((فقال يحيى: يا أبا جعفر أصْلَحَكَ اللهُ ما تقولُ في مُحْرِمٍ قتلَ صيدًا؟ فقال أبو جعفر ﷺ: قَتَلَهُ في حلٍّ أو حَرَمٍ، عالمًا كان المُحْرِمُ أو جاهلًا، قتلَهُ عَمْدًا أو خطأً، حُرًّا كان المُحْرِمُ أو عبْدًا، صغيرًا كان أو كبيرًا، مبتدئًا بالقتلِ أو مُعِيْدًا؟ من ذواتِ الطَّيْرِ كان الصيد أم من غيرها؟ من صغار الصَّيْدِ أم من كبارها؟ مُصِرًّا على ما فعل أو نادمًا؟ في اللَّيل كان قتله للصيد أم في النهار؟ مُحْرِمًا كان بالعمرة إذ قتله أو بالحجّ كان محرِمًا؟. فانقطع يحيى انقطاعًا لم يخفَ على أحدٍ من أهل المجلس وحيَّر الناس عجبًا في جواب أبي جعفر))[٣٢].

فالملحوظ أنَّ الإمام فرَّع سؤالَ يحيى تفريعاتٍ كثيرةً وهذه التفريعاتُ تخصُّ المحرِمَ بأحواله المختلفة وتخصُّ الصَّيدَ بأنواعه المتعدِّدة، وكانت تلك التفريعاتُ مهمَّةً للحصول على الإجابة الدقيقة، فكان ذلك الإطناب مُبْرِزاً ذكاءَ الإمام وتوقُّد علْمِهِ، ودقَّتَهُ وإحاطَتَهُ بالفقهِ وأحوالِهِ المختلفة بحسب ما يُقدَّم من أمر والصورة التي حصل بها؛ علمًا أنَّ الإمام أجاب عن الأحوال المختلفة والأحكام المناسبة لكلِّ حالٍ، بعد أن طلب المأمون منه ذلك،

٣١ الديلمي، الحسن بن أبي الحسن. أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق. مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط١ (قم المقدسة: المطبعة المهديَّة، ١٤٠٨)، ٣٠٩.
٣٢ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٣٣.

وفيما قدَّمْتُ من ذكر التفريع غنى عن التفصيل في الإجابة لضيق المقام وإبرازٍ لأهَمِّيَّة الإطناب في ذلك الكلام.

وقد يكون الإطناب توضيحًا كما في توضيح الإمام ﷺ معنى (كمال المروَّة) حين قال: ((حَسْبُ المَرْءِ مِنْ كَمَالِ المُروَّةِ أنْ لا يلقَى أحدًا بِمَا يَكْرَهُ، ومِنْ حُسْنِ خُلُقِ الرَّجُلِ كفُّهُ أذَاهُ، ومن سخائِهِ بِرُّهُ بِمَنْ يَجِبُ حَقُّهُ عليهِ، ومن كرمه إيثاره على نفسه، ومن صبره قلَّة شكواه ومن عقله إنصافه من نفسه ومن إنصافه قبول الحقِّ إذا بان له ومن نصحه نهيه عمَّا لا يرضاه لنفسه ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند إشنانك مع علمه بعيوبك ومن رفقه تركه عذلك بحضرةِ مَنْ تَكْرَهُ، ومِنْ حُسْنِ صُحْبَتِهِ لكَ كثرةُ موافقتِهِ وقلَّةُ مخالفَتِهِ، ومن شكرِهِ معْرِفَتُهُ إحسانَ مَنْ أحْسَنَ إليْهِ، ومِنْ تَوَاضُعِهِ معرفَتُهُ بِقَدْرِهِ، ومن سلامته قلَّةُ حفظِهِ لعيوبِ غيْرِهِ، وعنايَتُهُ بصلاحِ عُيُوْبِهِ))[٣٣] وعلى الرغم من أنَّ الكلمة تبدو طويلة قياسًا بكلماته القصيرة، لكنَّها دقيقة في التوصيفِ تحتاج فصلًا لتوضيحِ ماهيَّة كمال المروَّة، فكلُّ فِقْرةٍ فيها إضاءة معيَّنَةٌ لمكنونِ المروَّة، فتكشف لنا عن تكامل شخصيَّة حاملِ معالِمَها، فقد تكلَّم الإمام ﷺ عن مكارم الأخلاق وكلُّ فقرة تحدَّثَتْ عن واحدةٍ من تلكَ المكارِمِ، منْ كفِّ الأذى والسَّخاء والإيثار والصبرِ واكتمالِ العَقْلِ والإنْصَافِ والنُّصْحِ وَحِفْظِ الجِوَارِ والرِّفْقِ، وحُسْنِ الصُّحْبَةِ والشُّكْرِ والتواضع والسلامة، فهذه المقولة إذاً كلمات قصيرة جمعتها مظلة الكلمة الطويلة التي تكوَّنت مِنْ مَجْمُوْعِهَا لِتَكُوْنَ محيطةً بمعالمِ الشخصيَّة المؤمنة الحَقَّةِ فكانت فِقراتُهَا محبوكةً حَبْكًا لا انفكاك معه وقد أخذت فقراتها برقاب بعضها فكانت كالسَّبِيْكَةِ المُفْرَغَةِ.

التعريف والتنكير:

لهذه المهيمنة تأثيرٌ كبيرٌ في تحديدِ شيءٍ وتوصيفِ مدَاهُ، أو جَعْلِهِ مِنْ غير تحديد، فالتعريف يحدِّدُ المعنى، و((المُعَرَّفُ: ما يستلزم تصوره اكتساب تصوُّرِ الشيء بكنهه، أو بامتيازه عن كلِّ ما عداه، فيتناول التعريف الحد الناقص، والرسم؛ فإنَّ تصورهما لا يستلزم تصوُّر حقيقة

٣٣ لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، أعْلَام الهِدَاية الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ، ١١/ ٢٤٣.

الشيء، بل امتيازه عن جميع الأغيار))[٣٤]، والتنكير يجعل ما دلَّ عليه متَّسعًا غير محدَّد. يقول: ((والمعتمد عندنا أنَّ العلَّة في إيثار التنكير على التعريف، هو أنَّ الغرض إخراجها مخرج الإطلاق عن كلِّ قيد من القيود اللازمة لها، من تعريف أو تخصيص))[٣٥].

فمن التعريف استعمال المعارف: كالمعرَّف بـ(أل) والمعرَّف بالإضافة وأسماء العلم، والأسماء الموصولة وأسماء الإشارة، وقد استعملها الإمام الجواد عليه السلام عندما أراد تحديد مدار حديثه وهو كثير جدًا في كلامه، وما يهمُّنَا ليس الجانب النحويّ، بل الأثر البلاغيّ.

والملحوظ أنَّ التعريف والتنكير في أكثر الأحيان يجتمعان في مكان واحد، فمن ذلك الاجتماع قول الإمام الجواد عليه السلام: ((أوحى اللهُ إلى بعض الأنبياء: أمَّا زهدُكَ في الدُّنيا فتعجُّلك الرَّاحة، وأمَّا انقطاعك إليَّ فيعزّزك بي. ولكن هل عاديتَ لي عدوًّا ووالَيتَ لي وليًّا))[٣٦].

فالتعريف جاء بمعارف متنوِّعة منها لفظ الجلالة (الله) وهو تاج أسماء الأعلام، و(بعض الأنبياء) مضاف إلى المعرفة، و(زهدك) مضاف إلى الضمير الكاف، (الدنيا) و(الراحة) معرَّفان بـ(أل) و(تعجلُّك وانقطاعك) مضافان إلى الضمير الكاف، وأمَّا النكرة ففي لفظتي (عدوًّا) و(وليًّا) وقد جاء التنكير مهمًّا لتوصيف عمل ذلك النَّبيّ بعد أن أدَّى بألفاظ التعريف الواجبات البديهيَّة التي تخصُّ نفسه كالزهد في الدنيا والانقطاع إلى الله تعالى، أمَّا الأعمال التي يظهر فيها الأداء والاحتكاك مع الناس بالدعوة إلى الله فاستعمل التنكير لإبراز ذلك العمل في: ((عاديت لي عدوًّا ووالَيت لي وليًّا)) لمعرفة موالاة أولياء الله تعالى ومعاداة أعدائه، فجاء كلُّ استعمال في مكانه وجاءت الصيغ التعريفيَّة أو التنكيريَّة معبِّرة عن المعنى خير تعبير ولاسيَّما أنَّها دخلت في سياق استفهام بـ (هل)؛ لتكون أكثر إثارةً وتنبيهًا للمتلقِّي.

ومن اجتماعهما أيضًا ما ورد في محاورته عليه السلام: ((وقال داوُد بن القاسم: سألته عن الصَّمَدِ؟ فقالَ عليه السلام: الذي لا سُرَّةَ لَهُ. قلتُ: فإنَّهم يقولون: إنَّه الذي لا جوف له؟ فقال عن التخفِّي: كلُّ ذي جوف له سرّة))[٣٧]. فالمعارف الواردة فيه هي: (الصَّمَد) و(الذي) و(ذي جوفٍ) والنَّكرات

٣٤ الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. كتاب التعريفات، تحقيق. جماعة من العلماء بإشراف الناشر، ط١ (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣)، ٢٢٠.
٣٥ الحسيني، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، ٢/ ١٠.
٣٦ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٣٥.
٣٧ الحراني، ٣٣٦.

هي (جوف) (سُرَّة) في (لا جوفَ، ولا سرَّة) فقد أفادت المعارفُ توصيفَ الخالقِ سبحانه، بينما أفادتْ ألفاظ التنكير الوصفَ العام لكلِّ مَنْ لا جوفَ ولا سُرَّة لهُ، من غير تحديد.

المبحث الثاني: المهيمنات الأسلوبيَّة البيانيَّة:

مِنْ أهمِّ ما يُوْصَفُ به خطاب أئمَّة أهل البيت ﷺ جمال البيان وإصابة المعنى وقد اتَّضحت معالم علم البيان في الخطاب الجواديّ في التشبيهات والاستعارات في الأعمِّ الأغلب أمَّا المجاز بنوعيه والكناية فلم أجد لها صدًى فيما توافر بين يدي من نصوص.

التشبيه:

من أجمل فنون البيان في رسم الصور الفنِّيَّة الأدبيَّة يكون بعقد صلة بين ((شيئين بينهما اشتراك في معانٍ تعمَّهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كلُّ واحد منهما عن صاحبه بصفتها))[٣٨]، وعرَّفه أبو هلال العسكريّ؛ (ت٣٩٥هـ) قائلًا: ((الوصف بأنَّ أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب، وقد جاء في الشعر وسائر الكلام بغير أداة التشبيه))[٣٩]، يستعين به المبدع لعقد صلات بين المفترقات بما يفصح عن رؤيته المتفرِّدة.

التشبيه المرسل المفصَّل:

وهو التشبيه الذي ذكرت فيه جميع أركان التشبيه، فالمرسَلُ مذكورُ الأداةِ والمُفَصَّلُ مذكورُ وجه الشبه، كقول الإمام الجواد ﷺ: ((إيَّاكَ ومصاحبةَ الشرِّير فإنَّه كالسَّيْفِ المسْلُوْلِ يحسنُ منظرُهُ ويقبحُ أثرُهُ))[٤٠]، ففي هذا القول تحذيرٌ من مصاحبة الشِّرير، وذلك من خلال رسم صورة مخيفة له حيث قرنَهُ الإمامُ بالسيف الذي استلَّ من غمده فهو جميل المنظر، لكنَّه قبيح الأثر بقتله أو إيذائه مَنْ يُضْرَبُ بهِ، وقد ذُكر فيه المُشَبَّه وهو (الشِّرير) والمُشَبَّه به (السَّيْف) وأداة التشبيه وهي (الكاف)، ووجه شبه وهو ((يحسن منظره، ويقبح أثره)) وقد اختار الإمام هذا اللَّون من التشبيه الذي توافرت فيه أركان التشبيه كلها؛ لتكون الصورة راسمةً لمعالم الشرير واضحة في أذهان سامعيها ليتَّقوا الأشرار ويتركوا صحبتهم وما أكثرهم

٣٨ البغدادي، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد. نقد الشعر، ط١ (قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢)، ٣٧.

٣٩ العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. كتاب الصناعتين، تحقيق. علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩)، ٢٣٩.

٤٠ الديلمي، الشيخ الحسن بن أبي الحسن. أعلام الدين في صفات المؤمنين، تحقيق. مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ط١ (قم: مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث، ١٤٠٨)، ٣٠٩.

في جميع الأزمان، فكان الاختيار مصيبًا؛ لأنَّ الإمام ﷺ لم يقصد أن يجعل المتلقِّي يجول بخياله لرسم صورة الشرير، بل ابتغى تقريب تلك الصورة والتحذير منها، وهذا واضحٌ من استعماله أسلوب التحذير وهو ((إلزام المخاطب الاحتراز من مكروه بـ"إيَّاك" أو ما جرى مجراه))[٤١]، فناسب هذا النوع من التشبيه المقام الذي جاء في سياقه.

التشبيه البليغ:

وهو من صور التشبيه المؤثِّرة التي تحذف فيها الأداة ووجه الشبه فكأنَّما يتَّحد المُشَبَّه بالمُشَبَّه به بإخراج الأغمض إلى الأظهر مع حسن التأليف[٤٢] [٤٣]، وهو كثير في كلام الإمام ﷺ من ذلك قوله: ((الدِّيْنُ عزٌّ والعلمُ كنزٌ والصَّمْتُ نورٌ))[٤٤]، فقد أوردَ الإمام ثلاثة تشبيهات بليغة هي (الدين عزٌّ) و(العلم كنزٌ) و(الصمت نورٌ) وأراد بها إيصال الفكرة أيضًا فمن كان عارفًا بالله متديِّنًا كان الدين معِزًّا له، أمَّا العلم فمحصِّلُهُ قد حازَ كنزًا لا يفنى؛ لأنَّه يرفع ذكره أكثر ممَّا ترفع الكنوز أصحابها، أمَّا الصَّمْتُ فهو ينيرُ القلوبَ بضياءِ العِرْفَان، فلا يلزمُ الصَّمْتَ إلَّا مَنْ أنيرَ قلبُهُ بالتفكُّر، ولم يخترِ الإمام التشبيه ذا الأداة حتَّى لا يجعلِ التفاضلَ بين المُشَبَّه والمُشَبَّه به قائمًا، بل اختار البليغ ليجعل المُشَبَّه عينَ المُشَبَّه به، فلا حاجزَ بينهما فالدين هو العزُّ والعلمُ هو الكنزُ والصَّمْتُ هو النورُ وليست تشبهها، فقد اختار الأنسب ليكون أكثر تعبيرًا وأشد تأثيرًا، وجعل التشبيهات متتالية؛ لتكون أبوابُ المعاني متفتَّحَةً بذلك التتالي.

ومن ذلك النوع أيضًا قول الإمام ﷺ: ((والثقةُ بالله حِصْنٌ لا يَتَحَصَّنُ به إلَّا المؤمنُ، والتوكُّلُ على الله نجاةٌ من كلِّ سوءٍ، وحرزٌ من كلِّ عدوٍّ))[٤٥]، فقد أوردَ ثلاث تشبيهات بليغة هي (الثقة بالله حصن) و(التوكُّل على الله نجاة) و(التوكُّل على الله حرز)، والملحوظ

٤١ الجياني، محمد بن عبد الله بن مالك الطائي. شرح الكافية الشافية، تحقيق. عبد المنعم أحمد هريدي، ط١ (جامعة أم القرى: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، د.ت.)، ٣/ ١٣٧٧.

٤٢ عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق. حفني محمد شرف (الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.)، ١٥٩.

٤٣ الميداني، البلاغة العربية، ط١ (دمشق: دار القلم، ١٩٩٦)، ٢/ ١٧٣.

٤٤ الأربلي، ابو الحسن علي بن عيسى، كشف الغمة في معرفة الأئمة، تحقيق. آل كوثر، علي، د.ط. (بيروت: مركز الطباعة والنشر للمجمع العالمي لأهل البيت، ٢٠١٢)، ٣/ ٤٩٠.

٤٥ لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، أعْلَام الهِدَاية الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ، ١١/ ١٨٦.

أنَّه استعمل التشبيه البليغ لكنَّه كان واصفًا للمشبَّه به، فـ(الحصن) هو المُشَبَّه به في التشبيه الأوَّل لكنَّه وصفه بكونه: (لا يتحصَّن به إلَّا المؤمن) و(التوكُّل على الله) كان المُشَبَّه، أمَّا المُشَبَّه به فهو اثنان الأوَّل (نجاة) المحدَّدة بـ (من كلِّ سوء) والثاني هو(الحرز) المحدَّد بـ (من كلِّ عدوّ). وكانت التشبيهات في هذا النصِّ كسابقتها في النصِّ السابق لم يقصد بها اقتران المُشَبَّه بالمُشَبَّه به، بل قَصدَ الإمام اتِّحادهما فالثقة بالله هي عين الحصن الذي يمنع الأذى عن المؤمن والتوكُّل على الله هو ذات النجاة من كلِّ سوء وهو نفس الحرز من كلِّ عدوّ. فكان الاختيار مناسبًا للمعنى الذي عبَّر التشبيه عنه. وما لحظته على تشبيهات الإمام أنَّها لم يقصد بها كثرة التخييل بقدر ما قصد بها الإبانةَ وجلاءَ المقصدِ مِنِ اقتران المُشَبَّهات بالمُشَبَّهات بها، فما احتاج ذكرًا لجميع الأركان ذكرها من خلال التشبيه المرسل المفصَّل، وما احتاج حذفًا للأركان ودمجًا لها جاء بالبليغ ليؤدِّيَ ذلك المطلب وهذه غاية البلاغة أنْ يُؤْتَى بالملائم مَشَنَ الأساليب لتأدية المطاليب، أمَّا التشبيهات المقلوبة والضِّمْنِيَّة والتمثيليَّة فلم ترد في خطابه لعدم الحاجة إليها.

الاستعارة:

من ألوان التصوير المعبِّرة، وقد عرَّفها أبو هلال العسكريّ (ت ٣٩٥هـ) بقوله: ((الاستعارة: نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللُّغة إلى غيره لغرضٍ، وذلك الغرضُ إمَّا أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللَّفظ، أو تحسين المعرض الذى يبرز فيه))[٤٦]، وهي أنواع منها المكنيَّة والتصريحيَّة والتمثيليَّة، ولم أجد في خطاب الإمام الجواد سوى المكنيَّة وهي الاستعارة التي ذكر منها المُشَبَّه، وحذف منها المُشَبَّه به ورمز له بشيء من لوازمه مثل قول الإمام ﷺ: ((توسَّدِ الصَّبر واعتنق الفقر وارفض الشهوات وخالف الهوى))[٤٧]، ففي النصِّ استعارتان مكنيَّتَانِ إحداهما في (توسَّد الصبر) والأخرى في (اعتنقِ الفقرَ) ففي الأولى شبَّه الإمام الصبر بوسادة فحذفها وأبقى ما يلائمها وهو التوسُّد، وفي الثانية شبَّه الفقر بإنسان فحذفه وأبقى ما يدلُّ عليه

٤٦ العسكري، كتاب الصناعتين، ٢٦٨.
٤٧ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٣٥.

وهو الاعتناق، ففي الأولى ظهر التجسيد وهو: ((إبراز الماهيَّات والأفكار العامَّة والعواطف في رسوم وصور وتشابيه محسوسة هي في واقعها رموز معبِّرة عنها))[٤٨]، أي إضفاء صفات الجمادات المحسوسة على ما ارتبط بها عن طريق الاستعارة، وفي الثانية ظهرَ التَّشْخِيْصُ وهو ((إبراز الجمادِ أو المجرَّدِ من الحياة بشكل كائنٍ متميّزٍ بالشعور والحركة والحياة))[٤٩]، فقد أرانا هيئةَ توسُّد الصبر وصورةَ لاعتناق الفقر، وهذا تحبيبٌ لما يهابه الناس ولا يطيقونه وهما الصبر والفقر، وعادةً ما حذَّر الأئمَّة الأطهار المؤمنين من عدم الصبر وإيثار الغنى ففيهما تأميل لمحبِّي الدنيا وتزويق لبهرجتها، وهنا سار الإمام عليه السلام على نهج القرآن الكريم في قول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(البقرة ١٥٣)، وعلى خطى أجداده في هذا النصح للمؤمنين، فقد جعله الرسول صلى الله عليه وآله نصف الإيمان: حين قيل له: ((مَا الْإِيمَانُ؟ قَالَ: الصَّبْرُ وَالسَّمَاحَةُ))[٥٠]، وفي ذلك كلام كثير لا يتَّسع المقام لذكره.

ومن استعاراتِ الإمام عليه السلام قوله: ((مَنْ ركبَ مَرْكَبَ العُمْرِ اهتدَى إلى مِضْمَارِ النَّصْرِ))[٥١]، فقد شبَّه العمر بالبحر فحذفَهُ وأبقى ما يلائمُهُ وهو المركبُ وشبَّه النصر بالسباق فحذفه وأبقى ما يلائمُهُ وهو المضمار، وهنا أراد الإمام أن يبيِّن للناس من خلال الاستعارتين المستعملتين أنَّ العمرَ يجبُ أن يستثمرَ كما يستثمرُ البحر فيما ينفع فهو يشترك معه في كثرة الأهوال التي تُتَجَاوز بركوبِ ما يمكن للمرءِ أن يجتازَهُ به وهو المركبُ، فالمؤمنُ الحصيفُ هو من يختار أحسَنَ المراكبِ وهو العملُ الصَّالِحُ الذي تتبارى فيه الناس في مضمار الحياة ليصِلُوا إلى رضا الله ومنه إلى الجنَّة التي هي المأمن الحق من وراء الأعمال كلِّها.

فكان اختيار الإمام عليه السلام للاستعارة المكنيَّة هو الأكثر ملاءمة لاحتوائها على التجسيد والتشخيص اللَّذَيْنِ يعطيان للصفات والجمادات الحياة والحركة وهو ما يلائم حبَّ الإنسان للتوصيفِ ورغبته في رؤية المعنوي بثوبِ المحسوسِ.

---

٤٨ جبور عبد النور، ا}، ط٢ (بيروت لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٨٤)، ٥٩.
٤٩ عبد النور، ٦٧.
٥٠ بن حنبل، مسند الإمام أحمد بن حنبل، ٣٢/ ١٧٧.
٥١ الإربلي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح .كشف الغُمَّةِ في معرفةِ الأئمَّة، تحقيق. علي آل كوثر (بيروت: دار التعارف، ٢٠١٢)، ٣/ ٤٩٠.

ومن ذلك قول الإمام ﷺ: ((لا تفسِدِ الظَّنَّ على صديقٍ قد أصلحكَ اليقينُ لهُ))[٥٢]، فقد شبَّهَ الإمامُ ﷺ الظَّنَّ واليقينَ بإنسانين فحذفهما وأبقى ما يدلُّ عليهما وهو الفساد والصلاح، والإمام هنا حرَّك الخصال والصفات من خلال التشخيص الذي أعطاها الصِّفات البشريَّة، وقد استطاع الإمام أن يقدِّمَ لنا صورةً للمحافظة على الصديق الحقِّ؛ لأنَّ اليقين هدانا إليه فكيف يفسدنا سوء الظنِّ عليه، وقد سار على خطى جدِّه الرسول مُحَمَّد ﷺ حين قال: ((إيَّاكم والظنّ؛ فإنَّ الظنَّ أكذَبُ الحديثِ))[٥٣]. وهذا يعني أنَّ الإمام يريد لنا التأنِّي وألَّا نكون سيئي الظنِّ بالآخرينَ ولاسِيَّما بالأصدقاء الخُلَّص.

فالملحوظ أنَّ الإمام استعمل الاستعارة المكنيَّة بكثرة؛ نظرًا لأنَّ أظهر مميِّزاتها هو التشخيص والتجسيم والتجسيد التي تعطيها الحركة والحياة وتجعلها حيويَّة حيث تجعل المشاعر والصفات والجمادات كأنَّها متحرِّكة ناطقة ولذا تكون قريبة من الأذهان أكثر ممَّا لو تركت على التعبير الحقيقيّ.

المبحث الثالث المهيمنات الأسلوبيَّة البديعيَّة:

لقد تبيَّنتْ لي أصداءٌ من تطبيقات علم البديع في الخطاب الجواديّ الشريف من خلال الاهتمام بالمعنى والتنغيم واستثمار أثرها في السامع ومراعاة الإمام ذلك في خطابه، فمن الفنون المعنويَّة ما يدخل في التضادِّ وهو الجمع بين المتضادَّين أي معنيين متقابلين في الجملة، وسأفصِّل القول في ذلك:

الطباق والمقابلة:

ويختصَّان بذكر الشيء وضدِّه فأمَّا الطباق فيكون بالكلمات المفردة ويكون بالسلب عن طريق إيراد الشيء ونفيه أو الإيجاب بإيراد كلمتين متقابلتين، وأمَّا المقابلة فتكون بالتراكيب أي بالجمل المتقابلة.

فَمِمَّا ورد من طباق الإيجاب أي التَّضادّ بين لفظين متقابلي المعنى قول الإمام ﷺ: ((العلماء غرباء؛ لكثرة الجهَّال بينهم))[٥٤]، فالطباق حاصل بين كلمتي (العلماء والجهال)، والجميل أنَّ

٥٢ لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، أعْلَام الهدَاية الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ، ١١/ ٢٤٤.
٥٣ أبو عبد الرَّحمن محمد ناصر الدين الألباني، مُخْتَصَر صَحِيحِ الإِمَامِ البُخَارِي (الرياض: مكتَبَة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، د.ت.)، ٢/ ٢٤٦.
٥٤ القرشي، حياة الإمام الجواد (دراسة وتحليل)، ١٥٤.

الإمام علَّل غربة العلماء بكثرة الجهال؛ ممَّا أعطى للقول جمالًا ولطفًا وقبولاً.

وردت المقابلة في قول الإمام عليه السلام: ((من شهد أمراً فكرهه كان كمن غاب عنه، ومن غاب عن أمر فرضيه كان كمن شهده))[٥٥]، فقد تقابلت الصورتان:

من / شهد / أمراً / فكرهه / كان كمن غاب عنه،

ومن / غاب / عن أمر / فرضِيَه / كان كمن شهِدَهُ.

فكلُّ كلمة قابلت ما يضادّها بين الجملتين، كما هو مؤشَّر في أعلاه؛ لتبيِّنَ حقيقة نعيشها اليوم وكانت موجودة قبلنا، ومن سمع القول تعزَّزت لديه هذه الحقيقة، فالأمر الذي نكرهه لا نريد التفكير فيه وإن كنا شاهدين على حصوله، وما نحبُّه نفكِّر فيه وإن لم نكن شاهدين على حدوثه.

إنَّ التَّضادّ يكون جميلًا في الذوق لتقابل أجزائه والنفس البشريَّة تحب جمع المتقابلات في مكان واحد ليظهر الحسن من جراء تعاكس المعاني.

وورد عنه أيضاً: ((يوم العدل على الظالم أشدُّ من يوم الجور على المظلوم))[٥٦]، وهي من أجمل الكلمات القصيرة وأكثرها تأثيرًا؛ لكثرة الظلم في الأرض وهي تجسِّد حقيقة أنَّ الظالم ظلم في الدنيا وظلمه بشريّ وأنَّ العدل في الآخرة وهو عدلٌ إلهيٌّ حيث يطول وقوف الظَّلَمَة بين يدي الله علمًا أنَّ اليوم الواحد فيها يعادل ألف سنة حسبما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ (الحج ٤٧) ولذا فقد نَقَلَنا الإمام إلى يوم العدل فاستشعرنا عظمة الله تعالى وعدله بمقابل صغر الإنسان وقلَّة حيلته على الرغم من ظلمه، وإذا تتبعنا التَّضادّ فيها وجدناه كالآتي:

يوم العدل / على / الظالم **أشد من**

يوم الجور / على / المظلوم

ومثله قوله عليه السلام: ((لاتكن وليًّا لله في العلانية عدوًّا له في السرِّ))، فقد حمل هذا القول الموجز المكثَّف تقابلًا بيِّن:

---

٥٥ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٣٥.

٥٦ القرشي، حياة الإمام الجواد (دراسة وتحليل)، ١٥٢.

وليًّا لله / في العلانية
عدوًّا لَهُ / في السِّرِّ

حيث لخَّص الإمام ﷺ حقيقة شِحَّة إيمان الكثير مِنَ الناس والنفاق الذي يبدونه والمراءاة التي يعيشون فيها ومِنْ ثَمَّ ينهَى الإمام ﷺ المؤمنين أنْ يقومُوا بذلك فلابدَّ أن يكون ما وَقَرَ في القلب ظاهرًا على التصرُّف فيكون المؤمن مواليًا لله في سرِّه وعلانيَّته، وقد استعمل الإمام أسلوب النهي الحقيقي بلا الناهية مع الفعل المضارع بوصف الإمام آمرًا لمُريديه ناهيًا لهم عمَّا يَضُرُّهم، وقد عضَّد من خلاله ذلك التَّضادّ؛ لتكون مباحث التركيب مساندة لمباحث البديع في إصابة المعنى.

الاقتباس القرآني:

أهلُ البيتِ ﷺ هم عِدلُ القرآن الكريم وهم أعلم الناس به وبمكنونه ومن أكثرهم توظيفًا لأسلوبه الجميل، وقد ورد في خطاب الإمام ﷺ في نصحه ووعظه ودعائه ومحاججته.

فقد يورد الاقتباس القرآنيّ بالنصِّ؛ لتعضيد حجَّته كقوله: ((الناس أشكال وكلٌّ يعمل على شاكلته))[٥٧] ، فأراد الإمام أن يبيِّن اختلاف الناس حين قال: الناس أشكال، واستشهد بقوله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَى شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا﴾(الإسراء٨٤) ليرفد كلامه بالدليل وكأنَّه أشار من طرف خفي بقوله (أشكال) إلى تتمَّة الآية حيث يعرف الله الذين هم أهدى سبيلًا ويميِّزهم من غير المهتدين فهذه الكلمة تشمل المهتدين وغير المهتدين، ومن الجميل ورود الجناس الاشتقاقيّ بين (أشكال وشاكلة) ممَّا خلق نوعًا من التنغيم نتيجة ترديد الأصوات المشتركة.

وقد يورد الآية كاملة ويشير إلى كونها آية من خلال نصِّه على ذلك كقوله ﷺ: (النَّاس إِخوانٌ، فَمَن كانت أُخُوَّتُهُ في غَير ذاتِ الله، فَإِنَّها تَعود عَداوةً، وَذَلك قولُهُ ﷻ: ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (الزُخرُف ٦٧) فهنا جاء الاقتباس النَّصُّ عاضدًا قوله بالحجَّة فحين تحدث عن انقلاب الأخوَّة عداوة ما عدا أخوَّة المؤمنين أشار إلى ورود ذلك في القرآن الكريم وهو بذلك يؤكِّد ضرورة أن تكون الأخوَّة في الله هي

٥٧ لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، أعْلَام الهِدَاية الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ، ١١/ ٢٤٤.

المعتمدة لأنَّها تقوم على أسس سليمة لا تتغير مهما كانت الظروف بعكس غيرها ممَّا يكون في غير ذات الله تعالى.

وقد يورد الإمام ﷺ اقتباسًا قرآنيًّا بالمعنى كقوله: ((ما شكر اللهَ أحدٌ على نعمة أنعمها عليه إلَّا استوجب بذلك المزيد قبل أن يظهر على لسانه))[٥٨]، فهو هنا يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾(إبراهيم ٧)، فقد بان المعنى لمن خبر القرآن وداوم على تلاوته، وهذا تبسيط من الإمام للمعاني القرآنيَّة وجعلها قريبة المأخذ من خلال نصح الإمام للرعية.

وقد تأتي الآيات القرآنيَّة الكريمة في أدعية الإمام ﷺ: ((اللَّهمَّ يامن يملك التدبير وهو على كلِّ شيء قدير يامن يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور ويجن الضمير وهو اللطيف الخبير، اللَّهمَّ اجعلنا ممَّن نوى فعمل، ولا تجعلنا ممَّن شقي فكسل ولا من هو على غير عمل يتَّكلُ))[٥٩].

فقد أفاد من الآيات الكريمة: ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(هود ٤)، وقوله تعالى:﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ (غافر ١٩)، وقوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (الملك ١٤) (الملك١٤)، وقوله: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (التوبة ١٠٥)، فكان هذا الدعاء الذي أفاد من تلك الآيات كلِّها يستعين به المؤمن ليكون مناجيًا لله تعالى ولاسِيَّما في أوَّل أيَّام شهر رمضان كما كان الإمام يدعوه سبحانه فيه.

وفي حِرْزِهِ أفاد من القرآن الكريم كما في قوله: ((اللُّهمَّ ربَّ الملائكة والروح والنبيّين والمرسلين، وقاهر من في السماوات والأرضين، وخالق كلِّ شيء ومالكه، كفَّ عنِّي بأس أعدائنا ومن أرادنا بسوء من الجنّ والإنس وأعمِ أبصارهم وقلوبهم واجعل بيننا وبينهم حجابًا وحرسًا ومدفعًا، إنَّك ربُّنا ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله عليه توكَّلنا وإليه أنبنا وإليه المصير وهو العزيز الحكيم ربَّنا عافنا من كلِّ شرٍّ ومن كلِّ دابَّة أنت آخذ بناصيتها ...))[٦٠]، فقد اقتبس من آيات كثيرة منها:﴿تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ﴾ (القدر ٤) ، وقولُهُ تعالى: ﴿وَهُوَ

٥٨ القرشي، حياة الإمام الجواد (دراسة وتحليل)، ١٥٨.
٥٩ القرشي، ٨١.
٦٠ الأصفهاني، مُسْتَدْرَكُ عوالِمِ العُلومِ والمَعَارِفِ والأحوالِ من الآيات والأخبار والأقوال ، ج٢٣ الإمام محمد الجواد ﷺ، ٢٣/ ٢٤٩.

الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾ (الإنعام ١٨)، وقوله: ﴿خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ﴾ (الإنعام ١٠٢)، وقوله: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ (الإسراء ٤٥)، وقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾(الممتحنة ٤)، وقوله: ﴿وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ (الجاثية ٣٧).

وقوله: ﴿مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا﴾ (هود ٥٦)، فكان الاقتباس القرآنيّ قد حلَّ في مكانه في تآلف بما يظهر لجوءَ الإمام ﷺ الى الله والتحرُّزَ به من كلِّ شَرٍّ.

الإجمال والتفصيل:

فنٌّ مهمٌّ من فنون البديع المعنويَّة يعتمد على إجمال المعنى في كلمة ثُمَّ تفصيله في جُمَلٍ فمن المصطلحات التي تدخل في هذا اللون (الجمع) قال السكاكيّ عنه: ((أن تدخل شيئين فصاعدًا في نوع واحد))[٦١]، كقول الإمام ﷺ ((المؤمن يحتاجُ إلى توفيقٍ من الله وواعظٍ من نفسه وقبول مِمَّن ينصحُهُ))[٦٢]، الإجمالُ في (حاجة المؤمن) والتفصيل في ثلاثة هي: (توفيق من الله) و(واعظ من نفسه) و(قبول ممَّن ينصحه)، وهذا الأسلوب يجعل المتلقِّي متلهفًا عند سماع الإجمال إلى معرفة التفصيل ممَّا يجعل السياق محقّقًا ما يصبو إليه المتلقِّي وليس رتيبًا، ومنه أن يذكر الإمام رقمًا في أمر معين ثُمَّ يفصِّله كما في قوله: ((أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحَّة والغنى والعلم والتوفيق))[٦٣]، فالإجمال في قوله (أربع خصال) والتفصيل في (الصحَّة والغنى والعلم والتوفيق)، وهو كثير في مأثور الإمام ﷺ، ومن الإجمال والتفصيل ما يُعرف بـ(الجمع مع التفريق) قال عنه السكاكيّ أيضاً: ((ومنه الجمع مع التفريق، وهو أن تدخل شيئين في معنى واحد وتفرّق جهتي الإدخال))[٦٤]. من ذلك قول الإمام ﷺ: ((أوحى الله إلى بعض الأنبياء (وأمَّا زهدك في الدنيا ...فيعجِّلك الراحة، وأمَّا انقطاعك إليَّ فيعزَّزك بي ،...))[٦٥ ٦٦]، وهنا أفاد الإمام من هذه التقنية الأسلوبيَّة فالإجمال في حال بعض الأنبياء

٦١ الخوارزمي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي. مفتاح العلوم، تحقيق. نعيم زرزور، ط٢ (بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧)، ٤٢٥.

٦٢ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٣٦.

٦٣ القزويني، الإمام الجواد ﷺ من المهد إلى اللحد، ٣٨١.

٦٤ الخوارزمي، مفتاح العلوم، ٤٢٦.

٦٥ القزويني، الإمام الجواد ﷺ من المهد إلى اللحد، ٣٨٠.

٦٦ الحراني، تحف العقول عن آل الرسول، ٣٣٥.

والتفصيل في أمَّا وما بعدها وقد ورد تفصيلان الأوَّل ((أمَّا زهدك في الدنيا ...فيعجِّلك الراحة)) والثاني ((وأمَّا انقطاعك إليَّ فيعزَّزك بي)) ممَّا خلق جوًّا من التشويق للمتلقِّي لمعرفة تفصيل حوار الله لنبيِّه.

الجناس:

فنٌّ صوتيٌّ من فنون البديع يعتمد على إيراد كلمتين تتشابهان في اللَّفظ وتختلفان في المعنى وهما تامٌّ وناقص.

((أمَّا الجناس التامّ: فهو ما تماثل ركناه واتفقا لفظًا واختلفا معنًى، من غير تفاوت في تصحيح تركيبهما، واختلاف حركتهما))[٦٧]، وأمَّا إذا اختلف اللَّفظان في عدد الحروف وفي ترتيبها وحركاتها فيسمَّى حينئذٍ ناقصًا.

وقد وجدت الجناس الناقص في خطاب الإمام ولم أجد التامّ، فممَّا وجدته قوله عليه السلام: ((إذا نزل القضاء ضاق الفضاء)) فالجناس في نوع الحروف بين كلمتي (القضاء) و(الفضاء) بتغيير الحرف الأوَّل القاف والفاء، وهي كلمة قصيرة ومعانيها كبيرة تدلُّ على أنَّ قضاء الله إذا حلَّ فلا رادَّ له، فتضيق الدنيا على الإنسان بما رحبت لهول المصائب وعدم القدرة على تحملها للوهلة الأولى فكأنَّ الفضاء على سعته يضيق وقد أفاد السياق من التناغم الصوتيّ بين الكلمتين ليُحَصِّلَ فائدتين: الأولى معنويَّة في تصوير الضيق، والثانية صوتيَّة نتيجة تكرُّر الحروف المشتركة بين الكلمتين، وقد أشار الله تعالى إلى الضيق الذي حلَّ بالمخلَّفين في قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ﴾ (التوبة ١١٨) فكأنَّ الإمام أفاد من هذا المعنى وصاغ هذه الكلمة.

٦٧ الحموي، ابن حجة. خزانة الأدب وغاية الأرب، تحقيق. عصام شقيو، الأخيرة (بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٤)، ١/ ٧٤.

وقد يكون الجناس في موضع السَّجَع أيضا كما في قول الإمام ﷺ: ((الثقة بالله تعالى ثمن لكلِّ غالٍ وسُلَّمٌ إلى كلِّ عالٍ))[٦٨]، فالجناس بين كلمتي (غالٍ، وعالٍ) بتغيير الحرف الأوَّل، وهما في الوقت نفسه سجعتان انتهت بهما فقرتا القول ممَّا أحدث فنَّين صوتيّين في وقت واحد زيادة على ورود التشبيه البليغ مرَّتين وهما (الثقة ثمن) و(الثقة سُلَّم) فتعاون البيان والبديع في إبراز جمال هذا القول العظيم.

السَّجَع:

وهو ((تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد)) [٦٩]، وهو بمنزلة القافية في الشعر، وقد ورد في كلام الإمام كثيرًا فأكثره مسجوع لجمال أدائه وعلوّ باع بلاغته وقد وجدته في أكثر النصوص التي استشهدت بها في الفنون المختلفة في العلوم الثلاثة، وسأذكر مثلًا واحدًا لضيق المقام وقلَّة الصفحات المتاحة من ذلك قول الإمام ﷺ: ((ما هَدَمَ الدِّيْنَ مثلُ البِدَع ولا أفسدَ الرجالَ مِثْلُ الطَّمَع))[٧٠]، فالسَّجَع حصل في كلمتي (البِدَع) و(الطَّمَع) ممَّا أعطى للنصِّ تنغيمًا جميلًا، علمًا أنَّ هناك فنًّا صوتيًّا آخر هو التقسيم وهو التناسب الصوتيّ بين الفقرات في

ما هدمَ / الدين / مثل البِدَع ولا
أفسدَ / الرجال/ مثل الطَّمَع

فاحتوى النصُّ أكثر من فنٍّ صوتيٍّ رفع من مستوى تنغيمه.

الجناس الاشتقاقيّ:

هو نوع من التكرار وهو أدخل فيه، ويشترك مع الجناس في الاسم ولا يحمل معنى المصطلح فالكلمات المشتركة لا تحمل معنيين بل المعنى واحد مشتقّ من أصل واحد، كقول الإمام ﷺ: ((من عتب من غير ارتياب، أعتب من غير استعتاب))[٧١]، فالكلمات (عتب) و(أعتب)، و(استعتاب) اشتقت من أصل واحد وهو عتب وتحمل معنى مشتركًا وليس

٦٨ الجزيني، الدُّرَّةُ الباهرَةُ من الأصداف الطاهرة، ٤٠.
٦٩ ضياء الدين، ابن الأثير. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق. تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، ط٢ (الرياض: دار الرفاعي، د.ت.)، ١/ ٢١٠.
٧٠ القرشي، حياة الإمام الجواد (دراسة وتحليل)، ١٥٣.
٧١ لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، أعْلَام الهِدَاية الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ، ١١/ ٢٤٠.

مختلفًا، وأفاد الإمام من هذا اللون من الفنِّ في بيان أَهَمِّيَّة أن يكون العتب في موضعه، ومن عتب في غير موضعه جعل الله الآخرين يعاتبونه في غير موضع العتب عملًا بالمثل، فكان استعمال الإمام لهذا الفنّ يحتوي فائدتين صوتيَّة متأتِّيَة من التكرار ومعنويَّة في تركيز معنى العتب في الأذهان.

التكرار:

وهو فنٌّ يُبْحَثُ في علمي البديع والمعاني وله تأثيرٌ من خلالهما، قال ابن أبي الإصبع (ت٦٥٤هـ) عنه: ((وهو أنْ يكَرِّرَ المتكلِّم اللَّفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذمّ أو التهويل أو الوعيد...))[٧٢].

وَرد التكرار اللَّفظيّ أو تكرار العبارة كثيرًا في كلام الإمام الجواد ﷺ فمثل تكرار اللَّفظ قول الإمام ﷺ: ومن تكرار الكلمة الواحدة قول الإمام ﷺ: ((من استفاد أخًا في الله فقد استفاد بيتًا في الجنَّة))[٧٣].

فقد كرَّر الفعل (استفاد) مرَّتين فالأوَّل دلَّ على الاستفادة الدنيويَّة في الحصول على الأخ الحقّ في الله من غير مآربَ زائلةٍ؛ ليوصله إلى الاستفادة الثانية الأخرويَّة وهي (البيت في الجنَّة)؛ لأنَّ هذه الصُّحْبَةَ الخيِّرةَ أورثتِ الصاحبَ رضا الله والكثيرَ من الأعمال الصالحة الموصلة إلى الجنَّة.

ومن تكرار أكثر من كلمة (عبارة) قول الإمام ﷺ: ((مَنْ لم يرضَ من أخيه بحُسْنِ النيَّة، لم يرضَ بالعطيَّة))[٧٤]، فقد تكرَّر (الفعل والأداة لم) في (لم يرضَ) مرَّتين مع اختلاف الذي لم يُرْضِهِ، ففي الموضع الأوَّل نبَّه الإمام ﷺ إلى الذي لم يرضَ من أخيه المؤمن بحسن النيَّة، وفي الثاني أظهر نتيجة الشكّ في النيَّة وهو (لم يرضَ بالعطيَّة) وفي ذلك إشارة إلى جعل حُسْنِ النيَّةِ أساسًا في التعامل مع الآخرين؛ ليكونَ ما يُبنى عليه مقبولًا في النَّفْسِ.

٧٢ العدواني، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، ٣٧٥.
٧٣ القرشي، حياة الإمام الجواد (دراسة وتحليل)، ١٥٥.
٧٤ لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، أعْلَام الهِدَاية الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ، ١١/ ٢٤١.

الخاتمة

بعد هذا الإبحار في العباب الزاخر لبحر الإمام الجواد ﷺ برزت لي النتائج الآتية:

إنَّ بلاغة الإمام امتداد لبلاغة أجداده أهل البيت ﷺ المطرزة بالعلم اللَّدنيّ الإلهيّ، وأنَّ فصاحته لم تتأثَّر بما شاع من لحنٍ نتيجة تلاقح المجتمع الإسلاميّ بأمم أخرى غير العربيَّة نتيجة تحصين لسانه بحفظ القرآن الكريم وتدبُّره وحفظ حديث جدِّه رسول الله وروايته وحفظه لتراث أجداده الأطهار ﷺ وحفظها وأنَّ بلاغته جاءت على السليقة قبل استنباط علوم البلاغة وتفريعاتها فمن يقرأ تراثه يشعر بانتمائه لرسول الله ﷺ لبلاغته وعظيم علومه وفصل خطابه ولأمير المؤمنين ﷺ لحكمته وسرعة بديهيَّته وجوابه.

كانت ألفاظ الإمام في أعلى درجات الفصاحة بحسب ما وضعه علماء البلاغة من معايير وعباراته في أجمل أساليب البلاغة.

كان البناء التركيبيّ لخطاب الإمام الجواد ﷺ في أعلى استثمار للمهيمنات الأسلوبيَّة التي أظهرت أثر التركيب في إثراء الدلالة كالتقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير.

وردت في خطاب الإمام الجواد ﷺ الأخبار الابتدائية أكثر من الطلبيَّة؛ لأنَّ خطابه تضمَّن شرح الأحكام والنصح والإرشاد لذا كانت الأخبار الابتدائيَّة أكثر ظهورًا فهي لاتحتاج توكيدًا، أمَّا مناظراته فقد ظهرت فيها الأخبار الطلبيَّة التي تحتوي مؤكِّدًا واحدًا؛ تثبيتًا للفكرة في أذهان المتلقِّين، أمَّا الأخبار الإنكاريَّة التي تحتاج المزيد من المؤكِّدات فكانت قليلة لا تشكِّل ظاهرة في خطابه.

ظهر في خطاب الإمام استثماره أساليب الطلب في أوامره لمريديه بالمبادرة للخير ونواهيه لهم عن الشرِّ وارتكاب المعاصي.

بانَ في استعمال الإمام مباحث علم البيان بما يعزِّز أثر التصوير في إثر الدلالة فبدت التشبيهات التي توافرت بها الأركان كلُّها، ليوضِّح الصور التي أراد رسمها من خلال التشبيه حتَّى وإن كانت أقلَّ تصويرًا، واستعمل التشبيهات البليغة التي تخدم السياق وتدمج المُشَبَّه بالمُشَبَّه به بما يوفِّي بالمعنى أجلَّ توفية.

استثمر الإمام طاقات علم البديع المعنويَّة والصوتيَّة لتركيز المعنى في الأذهان وتقريبه للأفهام فاستعمل التضادّ بالطباق والمقابلة، والإجمال والتفصيل والاقتباس القرآنيّ بما يقوِّي الحجَّة ويجمِّل المعنى ويوفِّي به، أمَّا التنغيم فبان في السَّجَع والجناس والتقسيم والتكرار والجناس الاشتقاقي.

إنَّ الفنون البلاغيَّة جاءت عفو الخاطر ولم تكن متكلَّفة؛ لذا كانت في أجمل أنواعها وأجلّ إيراداتها وهذا ما يبرز في خطاب البليغ المتمكِّن وكان الإمام الجواد عليه السلام خير من يمثِّل ذلك.

المصادر

القرآن الكريم

أبو المعالي، محمد بن عبد الرحمن بن عمر. الإيضاح في علوم البلاغة. تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي. ط٣. بيروت: دار الجيل، د.ت.

ابن حنبل، أحمد. مسند الإمام أحمد بن حنبل. تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون. ط٢. مؤسسة الرسالة، ١٩٩٩.

الأصفهاني، محمد باقر المرتضى الموسوي الأبطحي. مُسْتَدْرَكُ عوالِمِ العُلومِ والمَعَارِفِ والأحوالِ من الآيات والأخبار والأقوال ، ج٢٣ الإمام محمد الجواد ﷺ. ط١. قم المقدسة: مؤسسة الإمام المهدي، ٢٠٠٢.

الألباني، أبو عبد الرَّحمن محمد ناصر الدين. مُخْتَصَر صَحِيحِ الإمَامِ البُخَارِي. الرياض: مكتَبَة المَعارف للنَّشْر والتوزيع، د.ت.

الأنصاري، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف. مُغْنِي اللَّبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق مازن المبارك و محمد علي حمدالله. ط٦. دمشق: دار الفكر، ١٩٨٥.

الإربلِّي، أبو الحسن علي بن عيسى بن أبي الفتح. كشف الغُمَّةِ في معرفةِ الأئمَّة. تحقيق علي آل كوثر. بيروت: دار التعارف، ٢٠١٢.

البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة. الجامع الصحيح. ط١. القاهرة: دار الشعب، ١٩٨٧.

البغدادي، قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد. نقد الشعر. ط١. قسطنطينية: مطبعة الجوائب، ١٣٠٢.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني. الرسائل الأدبية. ط٢. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ١٤٢٣.

الجرجاني، عبد القاهر. دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق محمود محمد شاكر أبو فهر. القاهرة: مطبعة المدني بالقاهرة، ١٩٩٢.

الجرجاني، علي بن محمد بن علي الزين الشريف. كتاب التعريفات. تحقيق جماعة من العلماء بإشراف الناشر. ط١. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٣.

الجزيني، أبو عبد الله محمد بن الشيخ جمال الدين مكي بن محمد بن حامد بن أحمد النبطي. الدُّرَّةُ الباهِرَةُ من الأصداف الطاهرة. تحقيق داود صابري. مشهد المقدسة – إيران: الآستانة الرضوية المقدسة، ١٣٦٥هـ.

الجياني، محمد بن عبد الله ابن مالك الطائي. شرح الكافية الشافية. تحقيق عبد المنعم أحمد هريدي. ط١. جامعة أم القرى: مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، د.ت.

الحراني، أبو محمد الحسن بن علي بن الحسين ابن شعبة. تحف العقول عن آل الرسول. قدَّم له وعلَّق حسين الأعلمي. ط٧. بيروت – لبنان: منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢.

الحسيني، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز. ط١. بيروت: المكتبة العصرية، ٢٠٠٣.

الحلواني، الحسين بن محمد بن الحسن بن نصر. نزهة الناظر وتنبيه الخاطر. تحقيق ونشر ،مدرسة الامام المهدي ﷺ. ط١. قم المقدسة، ١٤٠٨ هـ.

الحموي، ابن حجة. خزانة الأدب وغاية الأرب. تحقيق عصام شقيو. الاخيرة. بيروت: دار ومكتبة الهلال، ٢٠٠٤.

الخوارزمي، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي. مفتاح العلوم. ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور. ط٢. بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية، ١٩٨٧.

الديلمي، الحسن بن أبي الحسن. أعلام الدين في صفات المؤمنين. تحقيق مؤسسة آل البيت ﷺ لإحياء التراث. ط١. قم المقدسة: المطبعة المهديَّة، ١٤٠٨هـ.

الدين، ابن الأثير، ضياء. المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر. تحقيق تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة. ط٢. الرياض: دار الرفاعي، د.ت.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد. المُفَصَّل في صَنْعَةِ الإعراب. تحقيق علي بو ملحم. ط١. بيروت: مكتبة الهلال، ١٩٩٣.

الصعيدي، عبد المتعال. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة. ط١٧. مكتبة الآداب، ٢٠٠٥.

الطبراني، أبو القاسم. الدعاء للطبراني. تحقيق مصطفى عبد القادر عطا. ط١. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ.

العدواني، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع. تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن. تقديم وتحقيق حفني محمد شرف. الجمهورية العربية المتحدة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، د.ت.

العسكري، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران. كتاب الصناعتين. تحقيق علي محمد البجاوي و محمد أبو الفضل إبراهيم. بيروت: المكتبة العنصرية، ١٤١٩هـ.

القرشي، باقر شريف. حياة الإمام الجواد (دراسة وتحليل). بغداد: الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة، ١٤٣١هـ.

القزويني، الحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد. سنن ابن ماجة. تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي. د.ط. دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، د.ت.

القزويني، محمد كاظم. الإمام الجواد ﷺ من المهد إلى اللحد. تحقيق مصطفى بن محمد كاظم القزويني. بيروت – لبنان: دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر و التوزيع، ١٤٢٨هـ.

الكراجكي، الطرابلسي، أبو الفتح محمد بن علي. كنز الفوائد. بيروت: دار الأضواء، ٢٠١٤.

الميداني. البلاغة العربية. ط١. دمشق: دار القلم، ١٩٩٦.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي. الكتاب. تحقيق هارون، عبد السلام محمد. ط٣. القاهرة: مكتبة الخانجي، ١٩٨٨.

عبد النور، جبور. المعجم الأدبي. ط٢. بيروت لبنان: دار العلم للملايين، ١٩٨٤.

عتيق، عبد العزيز. علم المعاني. ط ١. بيروت - لبنان: دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٩.

لجنة التأليف في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ. أعْلَام الهِدَاية الإمام محمد بن علي الجواد ﷺ. ط١. قم المقدسة: مركز الطباعة والنشر في المجمع العالمي لأهل البيت ﷺ، ١٤٢٢هـ.